عين المدينة

مجلة نصف شهرية مستقلة/العددان 55-56/1 أيلول 2015

3ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

دير الزور - عدسة كرم

كلّ هذا الألم!

من الصعب أن يتخيّل المرء شعور الأب وهو ينقل أولاده بتعجّلٍ إلى القارب الصغير من على الشاطئ التركيّ؛ سعيداً لأنه استطاع الوصول إلى هذه المرحلة من رحلة الهروب، بعد تصفية ما أمكن من أمورٍ في البلد، وتأمين المبلغ الكبير الذي تتطلّبه الرحلة، والاهتداء إلى مهرّبٍ موثوق؛ قلقاً من إجهاض المحاولة قبل أن تمخر عباب الألم والخوف، مشوَّشاً من التعليمات المتسارعة للمهرّبين خشية مباغتة دورية الشرطة؛ مخلوع القلب من كلّ هذا الموج، يعرف، للمرّة الأولى في حياته، وحرفياً، معنى أن تسلم نفسك وقطع روحك للمجهول؛ آملاً في السكن، والمعونة، والشوارع النظيفة والمدارس المحترمة؛ مسترجعاً الصور التي شاهدها على الفايسبوك لأطفال سواه، وجوهاً شمعيةً وأجساداً باردةً منتفخة.

يا كلّ هذا الوجع!!

وفي غمرة هذا المأتم الحالك الطويل، الممتدّ من أصغر قريةٍ سوريةٍ يستهدفها «سلاح الجوّ في الجيش العربيّ السوريّ»، كما يحلو لمؤيّدي الأسد أن يسمّوا جرائم براميلهم الطائرة، وحتى عشرات الحدود والمخيّمات هنا وهناك؛ يضحك هؤلاء بتلذّذٍ مريع! يسندون ظهورهم إلى مقاعدهم، يؤشّرون بأصابعهم العشرة التي تدور كأنها طاحونة الموت: ألم نقل لكم؟!

بلى، قالوا لنا ولكننا أبينا أن نصدّق... قالوا لنا إن الأسد مريضٌ ومجرمٌ إلى هذه الدرجة وأكثر، وقالوا لنا إنه لهذا السبب بالضبط يجب أن لا نثور عليه!

أيّ حكمة؟!

نعم، قلتم لنا الكثير عن «حرق البلد»، وعن قتل الحاكم وزبانيته الممسوسين لمواطنيهم حتى آخر قطرة دم من أحد الطرفين. لم نصدّق؛ ببساطةٍ لأننا لا نُبطن هذا المدى من الإجرام ولا نستطيع تصوّره. لقد قلتم الكثير بالفعل، لا عن رئيسكم وجيشه وطياريه فقط، بل عن أنفسكم أيضاً. وها أنتم تكرّرون القول كلّ مرّةٍ وفي كلّ مناسبةٍ تتيح شماتة الموت.

ونحن، طالعين من تحت الأنقاض، منتَشلين جثثاً من العباب؛ لن نسامحكم. وإذا كانت أيادي الأسد وعصابته قد تلطّخت بالدماء فقد انحدرت أنفسكم إلى دركٍ أخلاقيٍّ مؤلمٍ للغاية هو، بالضبط، ما ثرنا لنخلّص أنفسنا، ونخلّصكم أنتم أيضاً، منه.

4 حرب الجدران

5 دروسٌ في المواطنة

7 مقاهي دير الزور في أورفا: شاي وبوراكو وثورة

8-9 يوم الكيماوي... القيامة الآن!

10-12 تنظيم الدولة والنفط (1)

13 وطنهم ووطننا

14 بوستيج داعش

18 شبهات داعش: ردودٌ بالأدلة الشرعية الإسلامية

بين "تعويم" الأسد ومحاربة داعش
جولات البحث الدوليّ عن "مخرَجٍ سياسيٍّ" تستمرّ

هيئة التحرير

شهدت الأيام الماضية جملةً من التحرّكات الدبلوماسية لمسؤولي الدول الإقليمية والغربية المعنية بالملف السوريّ، وذلك بعد طرح المبعوث الدوليّ ستيفان ديمستورا لمبادرة حلٍّ سياسيٍّ بتشكيل هيئة حكم انتقالية. وفي هذه الأثناء، عقدت وفودٌ من المعارضة السورية، أبرزها وفد الائتلاف الوطنيّ، اجتماعاتٍ في موسكو مع وزير خارجيتها سيرغي لافروف، وسط حديثٍ مكرّرٍ عن تغيّرٍ في الموقف الروسيّ من القضية السورية. لكن، حتى الآن، لم ترشح عن جولات المسؤولين وتصريحاتهم أيّ مستجداتٍ جديةٍ، ليبقى الحلّ السياسيّ المفترض عالقاً بين ثلاث نظرياتٍ تحكم الرؤى الدولية على أرضية محاربة داعش، وهي:

تعويم الأسد.. وداعش أولاً

مع ظهور داعش في العام الفائت؛ لم توفر موسكو -وطهران في صفها بالطبع- جهداً لدفع وإقناع الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوربية بهذه النظرية. إذ وجدت روسيا في محاربة التنظيم الفرصة التي يمكن من خلالها إعادة إنعاش النظام ليقوم بالمهمة التي تأخذ جلّ الاهتمام الأمريكيّ والغربيّ الرافض للتورّط المباشر على الأرض، والمتقاعس في دعم الفصائل الثورية المقاتلة للنظام. لكن يبقى الأساس لهذه الفرضية أن روسيا وإيران هما حليفتان مباشرتان للأسد في حربه على المنتفضين السوريين، وهذا ما عبّر عنه وزير الخارجية الروسيّ لافروف مراراً، وكرّره مؤخراً عقب لقائه هيثم مناع (عضو لجنة المتابعة لمؤتمر القاهرة2) بقوله: «إن طرح رحيل بشار الأسد كشرطٍ مسبقٍ لتسوية النزاع غير مقبولٍ بالنسبة إلى روسيا». لكن القوى الغربية لا تبدو في وارد الاتفاق مع الرؤية الروسية المنحازة للأسد، فضلاً عن أنه لا توجد أيّ دلائل على نجاعة هذه الرؤية في ظلّ العجز الذي أحاق بقوّات النظام، وتعقيدات الوضع الميدانيّ والإقليميّ. ولذلك تبقى المباحثات والمشاورات التي تسعى روسيا خلفها استمراراً لنهج التعامل مع الثورة السورية على أنها مشكلةٌ سياسية، وهذا ما لا يصدّقه سوى النظام وحلفائه وبعض «معارضي» التيار الثالث الموهومين بأن الثورة مشكلة سياسية وحلها يكمّن من خلال «السياسة».

داعش أولاً والأسد ثالثاً

عادت الخارجية الأمريكية، في بيانٍ لها منذ أيام «لتؤكّد على التزام الولايات المتحدة بقوّةٍ بتحقيق انتقالٍ سياسيٍّ حقيقيٍّ تفاوضيٍّ بمعزلٍ عن بشار الأسد»، الذي وصفه البيان بأنه يغذي الإرهاب والتطرّف. لكن الدور الذي تلعبه واشنطن اللاهثة نحو إقامة أحلافٍ لمحاربة داعش، مع إغماض الأعين عن جرائم الأسد؛ دفع الكثير من المراقبين إلى وصف الموقف الأمريكيّ بالمتخبّط، وأن قرار إدارة أوباما القطعيّ بعدم التدخل العسكريّ المباشر على الأرض حدا بصناع القرار في البيت الأبيض إلى وضع مسألة إسقاط الأسد ونظامه على ثالث سلم الأوليات، ليسبقها تحجيم داعش في المرتبة الأولى، والبحث عن بديلٍ متماسكٍ ومقبولٍ عن النظام الأسديّ في المرتبة الثانية، مما سيتطلب مزيداً من الوقت قد تتكفل الوقائع الميدانية باختصاره.

الأسد أولاً ثم داعش، أو داعش والأسد معاً

ربما كان مطلب إسقاط نظام الأسد قبل محاربة داعش مطلب غالبية السوريين والدول الإقليمية، كتركيا والسعودية وقطر. كان ذلك إلى حين تشكّل التحالف الدوليّ، منذ ما يقرب العام من الآن، بعد تصاعد عمليات التنظيم وانتهاكاته. وإثر ذلك؛ تحوّل مطلب تلك الدول إلى الإصرار على محاربة الطرفين معاً، مسايرةً للتوجّهات الأمريكية من جهة، وتلبيةً لمصالح هذه الدول ذاتها من جهةٍ أخرى. إذ تعتبر السعودية القضاء على الأسد بمثابة هزيمةٍ كبرى للدور الإيرانيّ في المنطقة، الذي وصلت به الوقاحة حدّ التوسّط في الهدن في الزبداني التي تحاصرها ميليشيا حزب الله اللبناني منذ ما يناهز الـ60 يوماً، وقبلها في حمص القديمة. وكذلك الأمر بالنسبة إلى تركيا وقطر، كلٌّ وفق مصالحه. أما فيما يخصّ محاربة داعش فإن القضاء على هذا التنظيم بات مطلباً سورياً ملحاً بعد الجرائم التي ارتكبها ويرتكبها بحقّ مئات الألوف من السكان الواقعين تحت سلطته، وحصار مئات آلافٍ آخرين في مدينة دير الزور، وما يقترفه مؤخراً من احتلال وقصف مدن وبلدات الريف الحلبيّ المحرّر، على رأسها مارع وحريتان.

يبقى أن جميع المبادرات السياسية لن يكتب لها النجاح إذا لم ترقَ إلى ملامسة مطالب السوريين الذين يواجهون وحدهم براميل النظام ومجازره ومفخخات تنظيم البغدادي وإجرامه، والذين وحدهم سيقاتلون من أجل الانصياع لمطالبهم.

حرب الجدران

سمهر الخالد

في الطريق من البوكمال إلى دير الزور يصادف المسافر عباراتٍ هنا وهناك، على جدران المدارس والدوائر الحكومية، تحمل طابع تنظيم الدولة. بالإضافة إلى لوحات فليكس كُتب عليها «فكوا العاني»، «معاً نرعى شجرة الخلافة»، «قرنَ في بيوتكن». ودعواتٌ إلى ترك التدخين والتزام الحجاب.

أكثر ما يلفت النظر بحجمه عبارةٌ مكتوبةٌ في مدخل مدينة البصيرة تقول «أمة واحدة راية واحدة دولة واحدة». وإلى جانب الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي يحاول التنظيم من خلالها إسناد حقّه في السلطة أو تدعو إلى الالتزام بالأخلاق -وبعضها كتبته فصائل مقاتلة أو منظمات أهلية قبل تمدّد التنظيم- تتقاسم باقي الجدران على طول الطريق عباراتٌ مكتوبةٌ بخطٍّ هزيلٍ تروّج لبيع المحروقات والمواد الغذائية ولوازم البناء وبعض الخدمات في محلاتٍ تنبت بشكلٍ جنونيٍّ على جانبي هذه الطريق التي تصل الشرق بالغرب، والتي تأتي بالبضائع وتذهب بالشباب.

لكن المسافر لا يعدم عباراتٍ تحمل أفكاراً ما قبل التنظيم، مثل «الحرّية ليست جريمة». بل قد يصادف علم الثورة أو عباراتٍ قديمةً باهتةً لكن متقنةً تمجّد ثورة الثامن من آذار والحركة التصحيحية وتحمل أقوال بشار الأسد. كما أن الدخول إلى أحد الدروب الجانبية قد يكشف عن عباراتٍ مناهضةً للتنظيم بدأت تظهر في الفترة الأخيرة. تقول إحدى هذه العبارات في مدينة الشحيل «زائلة بإذن الله» وتقول أخرى «ولاية الدولار».

ما أن تقترب الطريق من مدينة دير الزور حتى تبدأ العبارات بالتكاثر والتنوّع والتعقيد، لكن تحت مظلة التنظيم. ففي محيط دوّار المعامل شماليّ المدينة، حيث خيضت في الماضي معارك كثيرة، صُفّيت جميع العبارات القديمة التي كتبها بمجملها أحرار الشام وجبهة النصرة وحزب التحرير، رفاق الأمس أعداء اليوم.

بدأت الكتابة على الجدران في المدينة مع بداية التظاهر، بعباراتٍ مناوئةٍ للنظام أو تدعو إلى الإضراب والتذكير بما يحلّ بمدينة حمص من جرائم. كما انتشرت العبارات التهكمية والمستهجنة صمت الحكام العرب. وقد اعتمد الثوار في الكتابة آنذاك على علب بخاخ الدهان السريع، رغم أن الأمن حظر بيعها وقتها. ثم أخذ الأمر يتطوّر في منتصف 2012، فكُتبت -على سبيل المثال- آيتان بشكلٍ متقنٍ على الجدران، هما {وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} و{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ}. ثمّ، وفي نهاية العام، بدأ رسامون وخطّاطون هواةٌ ومحترفون ينشرون أفكارهم على جدران المدينة باستعمال الخط وفن الغرافيتي. وظهرت أعمالهم للمرّة الأولى في عبارة «حاصر حصارك لا مفر» بتأثير حملة النظام العسكرية. وبعدها بقليل، وتحت ضغط انتشار الفتاوى التكفيرية، كتبوا في شارع التكايا آية {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}. وكانت أول اقتباس قرآنيٍّ يظهر على جدران المدينة بقصد المحاججة والردّ، ثم أخذت تتوالى الرسوم والعبارات المتجاورة من كلّ المشارب والتيارات. لتظهر، في بداية 2014، الآية {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ} فوق جميع تلك اللوحات بتأثيرٍ من تنظيم الدولة في أوّل ظهورٍ لخلاياه.

قبل دخول التنظيم إلى المدينة بقليل بدأ لواء العباس، بالاشتراك مع خلايا التنظيم، بطمس العبارات والرسوم على الجدران باللون الأسود. وكردّة فعلٍ عليه قام بعض الناشطين بكتابة الآية {إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ} على الجدران السود وبعض مقرّات جبهة النصرة. ليحسم التنظيم ذلك النقاش البصريّ بين الأسود والألوان الأخرى، فأكمل طمس جميع الجدران، وأحلّ مكان كلّ ما سبق عباراتٍ تدعم أفكاره، لابن القيّم أو ابن تيمية أو سيد قطب. وتحتلّ تصريحات العدنانيّ حيّزاً كبيراً في الفضاء البصريّ، ربما لوجود الكثير من عناصر لواء داود في المدينة. ومعلوم أن كليهما، العدناني واللواء، من مدينة إدلب.

لا تحمل الأيام أيّ بوادر لمقاومة التنظيم حتى في نطاق الفضاء البصريّ في مدينة دير الزور، باستثناء عباراتٍ ظهرت في بعض الأوقات تقول «الجبهة قادمة».. «الثورة مستمرة». وقد يكون ذلك بسبب انسحاب الناشطين من الحياة العامة وتوجّه الكثير منهم إلى تركيا، أو الخوف من ردّة فعل التنظيم القاسية. لكن، يبقى التقليل من شأن المقاومة السلمية تلك عاملاً حاسماً في اندثارها بهذه السرعة.

دروسٌ في المواطنة

علي خطاب

ليست هذه الحوادث من أخبار الحمقى والمغفلين، كما أنها ليست خرقاً للمألوف بحيث تشكّل استثناءً أو تصرّفاتٍ فرديةً بحسب التعبير الشائع. بل هي من الكثرة لدرجة أن فكرة (الإصلاح من الداخل) أصبحت تتردّد على ألسنة شرعيي تنظيم الدولة والمتحمسين له، بينما يُقرّ عناصره بوجود الأخطاء دون أن يعترفوا أنهم مادتها.

• في أوّل دخول للتنظيم إلى مدينة دير الزور تجوّل تجار مخدراتٍ معروفونَ على دراجاتهم في الشوارع وهم يصرخون «باقية». اليوم؛ بعضهم مبايعٌ ويحظى البعض الآخر بمكانةٍ كبيرةٍ لدى المتنفذين في المدينة.

• قضى أحد مقاتلي الجيش الحرّ السابقين عدّة أشهر في سجون التنظيم بتهمة إخفاء أسلحة. وأُوسع ضرباً خلال تلك الفترة. في بداية اعتقاله أخبره سجّانوه أن لجنةً قضائيةً مركزيةً في طريقها إلى السجن، وحذّروه من إخبارها عن تعرّضه للضرب. بعد أيام دخل إلى زنزانته ملثمون يتكلمون اللهجة العراقية، يسألون إن كانت لديه شكوى، أو إن كان قد تعرّض للضرب، فردّ بالايجاب، ليكتشف أن الملثمين هم سجانوه أنفسهم، بعد أن أسفروا عن وجوههم ثم انهالوا عليه بالضرب من جديد. تكرّر الكمين في الأيام اللاحقة لعدّة مرّاتٍ، حتى جاءت اللجنة بالفعل، فقال الرجل لهم إنه يريد مبايعة التنظيم!

• أثناء مشادّةٍ كلاميةٍ بين عنصرٍ في «الشرطة الإسلامية» وأحد المدنيين؛ خرج شابٌّ حمصيٌّ يسكن في دير الزور، مع بعض الجيران، لتهدئة النفوس. كان العنصر يطلب مؤازرةً عبر اللاسلكي حين طوّق الحمصيّ كتفه بلهجته وقال له الغريبة على العنصر: «طوّل بالك أخي. الواعة الكبيرة بتسع الواعة الصغيرة». ابتعد العنصر قليلاً، ونظر مباشرة في عيني الحمصيّ وقال له: «هذا حديث غير صحيح!».

• في شارع التكايا صدمت سيارة الشرطة رجلاً على دراجته الهوائية، فقال للسائق: «الله يسامحك». نزل السائق غاضباً وهو يصيح بالرجل: «من أنت حتى تسامح الدولة الإسلامية؟!».

• بعد أن قطع التنظيم التيار الكهربائيّ عن المدينة وأعاد توزيعه على الأهالي بسعر ألف ليرةٍ لكلّ أمبير وأربعة أمبيراتٍ كحدٍّ أقصى للاستجرار؛ قام عمال الكهرباء بجولاتٍ لفحص القواطع المنزلية ومطابقتها مع الاشتراك المسجّل. وصلوا، في إحدى الحواري، إلى منزل خطيب وإمام معتمدٍ لدى التنظيم فوجدوا القاطع باستطاعة ثلاثة أمبيرات (يحمل القاطع استطاعته بالرقم) بينما يشير فحص الشريط الداخل إلى المنزل إلى أكثر من عشرين أمبيراً. بعد تدقيق القاطع اكتشفوا أنه باستطاعة 32 أمبيراً، لكن الإمام كان قد حكّ رقم 2 عنه.

• على حاجز مدخل المدينة الشماليّ تتوقف سيارة نقلٍ عموميٍّ للتفتيش. يطلب أحد العناصر من الركاب الترجل، ويقترب من أوّلهم. يضع أنفه على بعد 10 سنتمتر تقريباً من فم الرجل، ويسأله: «هل تدخن؟ بصراحة». فيجيب الرجل نعم. يتراجع العنصر إلى الوراء منتفضاً، ويطلب منه انتظار سيارة الحسبة لتأخذه إلى الحفر. يكمل العنصر التفتيش مكرّراً السؤال ذاته، لكن مع إجابات الركاب بالنفي، رغم أنهم يدخنون. بعد قليل يسأل «أمير الحاجز» المعتقلَ المدخّن: «لماذا تستفز الأخ وتقول له أنا أدخن؟ جكر!». فيردّ المعتقل: «هو سألني، فهل أكذب عليه؟!». يقول الأمير: «لا تكذب، بس لازم تستتر».

• في حافلةٍ في دوّار الحلبية يجلس أحد عناصر التنظيم، بسلاحه وعتاده، إلى جوار السائق. ينتظر -مع بقية الركاب في الخلف- أن تمتلئ السيارة لتنطلق بهم إلى مدينة الميادين. تحت أشعة الشمس تمرّ سيارةٌ تحمل مضاداً للطيران، خلفه الرامي يضع يده فوق عينيه وينظر إلى السماء. يلتفت العنصر إلى الركاب ويقول: «الأخ يضع يده فوق عينيه ليسدّ الشمس.. ألم يسمع قول الله تعالى: {والشمس وضحاها}!».

• قال أحد الأمراء لمقاتلٍ من إحدى الكتائب، بعد أن استتبّ الأمر للتنظيم: «أنتم مرتدّون لأنكم لم تبايعوا الدولة». ردّ عليه المقاتل: «ولكننا نصلّي!»، فأجابه الأمير: «بشار الأسد يصلّي».

في دير الزور المحاصَرة، تُستبدل السيارة بكيسين من السكّر
300 ألف ليرةٍ للسفر إلى دمشق

أحمد الصالح

تؤمّن أربعة أفرانٍ أقلّ من الحدّ الأدنى اللازم لمئتي ألف محاصرٍ من المدنيين في الأجزاء الخاضعة لسيطرة النظام في مدينة دير الزور. وتعمل مصفاةٌ بدائيةٌ للنفط، أقيمت على بئر كان مغلقاً وأعيد تشغيله بسبب الحصار، على تزويد هذه الأفران بالوقود.

الأثمان الخيالية لكلّ شيءٍ أضحت شيئاً مألوفاً للسكان الجائعين، وكذلك تبدو قصص المقايضة، مثل مبادلة جهاز كمبيوتر بعبوة زيت، أو غرفة ضيوفٍ بعلبة مرتديلا كبيرة. يروي مناف، وهو معلم مدرسةٍ وصل إلى تركيا بعد أن تمكّن من الخروج من الحصار ثم اجتياز أرض داعش، حكاياتٍ لا يمكن تصديقها بسهولة؛ فجاره قد بادل سيارته بكيسين من السكر، وتوفيت طفلتان لجارٍ ثانٍ بسبب جملة أمراضٍ مختلطةٍ بفقر الدم نتيجة سوء التغذية.

تقول ريم، وهي ربة منزل، إنها أنفقت كلّ مدّخراتها وباعت مصاغها الذهبيّ لشراء ما يتوافر من سلع غذائية. «ما ظل عندنا شي، صرفنا كلّ شيّ وبعنا كلّ شي يمكن ينباع تا نشتري شوية برغل ورز».

عبر طائرة الشحن شبه اليومية تنقل منظمة الهلال الأحمر شحناتٍ من المواد الغذائية، تنتقل، فور وصولها إلى أرض مطار دير الزور، إلى ملكية شبكةٍ يترأسها ضباطٌ من جيش الأسد، يختصّ كلٌّ منهم بنوعٍ محدّدٍ من المواد. فعلى سبيل المثال يطلق السكّان، الذين لم يفقدوا حسّ الدعابة حتى في هذه الظروف، على أحد الضباط لقب أمير المعلبات. ويطلقون لقب أمير المازوت على العقيد ياسين الذي ما ينفك يهدد السكان بقوله: «ما راح خلّي عندكن مصاري يا ديرية.. بدي خليكن تبيعوا حتى أواعيكن».

المساحات المتاحة للزراعة في قرية البغيلية التي تعدّ حياً تابعاً لدير الزور، والواقعة على أطراف الأراضي الخاضعة لسيطرة النظام، لا تكفي أبداً لتأمين الحدّ الأدنى من الخضار، فيما تبدو محاولات البعض لزراعة أجزاء من حدائقهم المنزلية دون جدوى.

لا تقتصر القلة والعوز على الطعام، فانقطاع المياه لساعاتٍ طويلةٍ كلّ يوم نوعٌ آخر من أنواع المعاناة. ويشكو فنيو محطّة التصفية من قلة الوقود وانقطاع الكهرباء وشحّ مادة الكلور اللازمة لتعقيم المياه. والكهرباء مقطوعةٌ بشكلٍ كاملٍ منذ نيسان الماضي.

يمتنع النظام عن السماح للمدنيين بالخروج إلا بموافقةٍ أمنيةٍ تُدفع للحصول عليها مبالغ باهظة. ولا يسمح للذكور دون سنّ الخمسين بالمغادرة إلا في بعض الحالات التي يتم فيها تقديم الرشوة لعناصر الأمن، حسب ما تروي أم جمال، وهي عجوزٌ خرجت مؤخراً إلى مدينة الميادين في ريف دير الزور الشرقي: «كلها بالمصاري. قام يهرّبونهم تهريب. يلبّسونهم هدوم الجيش ويطلّعونهم بالمطورات لبعد الحواجز بخمسين ألف».

الخروج من الحصار بالسفر جوّاً مكلفٌ جداً ولا يتاح إلا لميسوري الحال، فقد تصل تكاليف الرحلة من دير الزور إلى دمشق إلى أكثر من 300 ألف ليرة. فيما يضطرّ متوسّطو الحال إلى الدخول في مساوماتٍ مع شبكةٍ من السماسرة لتأمين موافقة اجتياز الحاجز الأخير للنظام، ثم المشي لأكثر من ثلاثة كيلومتراتٍ قبل الوصول إلى حاجز داعش، ليتعرّض الجميع لتفتيشٍ دقيقٍ قبل نقلهم إلى مدينة معدان حيث يُحتجزون في مدرسةٍ حتى الانتهاء من التحقيق.

يقول مدرّسٌ سابقٌ خرج من الحصار ونقل، كما بقية النازحين، إلى معدان: «بهدلونا عالحاجز، وشالونا بسيارات الغنم، وسجنونا بمدرسة. ضلينا ننام بباحتها يومين، وما هدّت فوقنا طيارات التحالف، لحتى خلصوا تحقيق. وتركونا مع منع مغادرة لأراضي داعش إلا بموافقة». لكن المدرّس يبدو سعيداً رغم ذلك لأنه استطاع النجاة بأطفاله من الموت جوعاً، ولا يخفي رغبته في رحلة فرارٍ ثانيةٍ من أرض «داعش» إلى تركيا، بعد أن يأخذ قسطاً من الراحة في مكان نزوحه المؤقت في ريف دير الزور الغربيّ.

مقاهي دير الزور في أورفا

شاي وبوراكو وثورة... وجيش حرّ وشبّيحة هاربون وحشيش

معاذ الطلب

«منين أجيب جواكر؟ أطبعها يعني!»
«خذ هالختايرة وروح اعمللهم عمرة»

مقهى الحجاز - أورفا

بلهجة مدينة دير الزور، التي لا تشبه أيّ لهجة سورية أخرى، يناكف لاعبو «البوراكو» بعضهم في مقهى الروضة. وهو أول المقاهي الديرية المفتتحة في مدينة أورفا التركية، قبل أن تتبعه (7) مقاهٍ ديرية أخرى، كابن البلد والحجاز والجسر والنوفرة وغيرها، لتكون نوادي لا يمكن للديريّ الاستغناء عنها حتى لو كان نازحاً. فـ«القهوة» ومواعدة الأصدقاء للقاء فيها، ورؤية آخرين صدفةً أو البحث عنهم هناك ثم العودة قبل منتصف الليل أو بعده؛ كلها مفرداتٌ لازمةٌ للحياة أو وسائل لاستعادتها. ويكون الجواب واحداً تقريباً في معرض الدفاع عن هذا السلوك: «شكون نعمل؟». والحق أن ما يمكن لنازح ديريٍّ بظروفه الموضوعية أن يفعله قليلٌ؛ لا شيء سوى الشاي وسلاسل البوراكو التي تستغرق الوقت وتبعد الهموم عن الرأس.

في أشهر الحضور الديريّ الأولى، كان مقهى الهاشمية محطة التقاء رئيسية للناشطين ولأفراد الجيش الحرّ ولقادتهم، وكذلك للجرحى ذوي الإصابات الخفيفة والمتوسّطة أثناء نقاهاتهم. قبل أن يأخذ البعض المبادرة بافتتاح «قهوة»، وهو المشروع الرابح في معظم الحالات، لأن «شريك المي ما يخسر»، مع مراعاة اختيار النادل، الذي يسميه الديريون «الساقي»، فتشغيل ساق متميز هو أحد أهم عوامل نجاح أيّ «قهوة».

بعض الوقت للبوراكو، وبعض الطاولات لمشاريع عمل نادراً ما تتحوّل الى حقائق. فيما يحتلّ الحديث أو التفاوض على قطع آثار (مزيفة غالباً) مساحة مهمة من مجموع المواضيع الرئيسية لمرتادي المقاهي الديرية، بالتزامن مع مشاركة الجميع في المؤتمر النقديّ المفتوح عن أخطاء الثوّار وكشف لصوص الثورة. ولا بأس، كلما سنحت الفرصة، بقليل من التفاخر بالنفس أو بالكتيبة أو بالمجموعة العشائرية. ودائماً لداعش وللدواعش نصيبٌ مع كلّ صينية شاي.

في الآونة الأخيرة تتالى ظهور مؤيدين سابقين للنظام في مجتمع نزوح أورفا، اتّهم بعضهم بالتطوّع الى مجموعات الشبّيحة التي سمّاها النظام الدفاع الوطنيّ. هرب هؤلاء عبر مطار دير الزور العسكريّ إلى دمشق ثم بيروت فمرسين، وصولاً إلى الفضاء المحبّب مع أبناء البلد في أورفا. إذ لا يمكن لابن دير الزور، وإن كان موالياً للنظام، أن يبتعد عن محيطه، حتى لو كان هذا المحيط في الخندق الآخر. سُجّل ظهور بعض هؤلاء في بعض المقاهي خلال الشهر الأخير. وأثارت أنباء وصولهم شهية مقاتلي الجيش الحرّ السابقين للشجار، لتبدأ عمليات تفتيش و«كبسات» على بعض المقاهي بحثاً عنهم لتلقينهم درساً و«إطعامهم قتلات» دامية. وهو ما حدث بالفعل في وقائع عدّة كان آخرها «قتلةٌ» تلقاها ثلاثةٌ من عناصر الدفاع، بينهم «الجقال» مساعد «فراس العراقية» أحد أشهر شبّيحة دير الزور، عُثر عليهم في مقهى «ابن البلد» يلعبون البوراكو كأنهم لم يرتكبوا أيّ فعل شائن، كما يشرح أحد عناصر الحرّ المبتهجين بتأديب «الخونة» وطردهم من أورفا نهائياً، أو من مقاهيها على الأقلّ. لكن بهجة محدّثنا لم تكتمل، مع معاودة ظهور «الخونة» برفقة عناصر آخرين من الجيش الحرّ متّهمين بالفساد والسرقة وإدمان المخدرات.

أكثر من مقهى

في الماضي، وبالنسبة إلى رجل «القهوة» التقليديّ الذي استقرّت به الحياة وتأكّد أنه لن يغيّر مهنته وبيته وزوجته؛ لا يكتمل اليوم على طبيعته إلا بساعةٍ أو أكثر على كرسيّ الخيزران، مع إسناد الظهر إلى الحائط، والاتكاء على الطاولة، ونقل القدم داخل «الكلاش» أو فوقه أو إلى العارضة السفلية للطاولة. وطبعاً، ليس أفضل من «الكلابية» البيضاء النظيفة زيّاً عملياً ومريحاً في القهوة أو أثناء السير إليها مشياً على الأقدام أو بالدرّاجات الهوائية أو النارية.

هناك شرائح أخرى من الزبائن تخرق النموذج أو تتهيأ له، هي أصغر سناً في غالب الحالات، لكنها تنمو سنةً بعد سنة لتدخل هي الأخرى في نادي الرجال الناضجين الذين أسّسوا حلقات أصدقاء وعشرة عمر لا يهلكها إلا الموت أو المرض المُقعد في البيت. وأصغر من هؤلاء جميعاً يأتي اليافعون من مراهقين أو ممن اجتازوا عتبة سنّ الرشد حديثاً، سواءً اعتادوا التدخين أو ما زالت تربيتهم المنزلية تكافحه، ليشغلوا، هم أيضاً، عدداً لا بأس به من الطاولات. ويدور الساقي على الجميع، نشطاً وذكياً في حفظ خصوصيات كلٍّ منهم في المشروب المفضّل والموقع المفضّل والأصدقاء المقرّبين.

قد يبدو مجازفةً تحديد نسبة الذين يرتادون المقاهي يومياً من أبناء دير الزور، لكنها كبيرةٌ إلى الحدّ الذي يعتبر فيه من لا يرتادها أقليةً قلقةً وغير متماسكة وضعيفة، في موقف دفاع وتقديم دائم للمبرّرات عن لا جدوى «القهوة» ولا جدوى التردّد إليها.

يوم الكيماوي... القيامة الآن!

شهاداتٌ طبّيّة عن مجزرة الكيماوي في الغوطة الشرقية في 2013/8/21

أوس المبارك

«استفقتُ الساعة الثالثة صباحاً على صوت مكبّرات المآذن، كرّروا النداء الذي كان يطلب من الناس أن يأخذوا البطانيات (الأغطية) إلى المشفى. ظللتُ أفكر بالسبب إلى أن سمعتهم هذه المرّة ينادون على جميع الأطباء بالتوجه إلى المشفى، فلبست ثيابي ونزلت. وفي الطريق قابلت أناساً يحملون البطانيات، وجوههم مخطوفة اللون، يهرولون رغم ثقل حملهم. أخبروني بأصواتٍ جزعةٍ أن النظام ضرب الغوطة بالكيماويّ، وأن المشافي تغصّ بالمصابين والشهداء. لماذا لم يقل المنادي على المكبّر ذلك؟».

يكمل الدكتور محمد درويش: رأيت شاحنةً وصلت للتوّ أمام باب المشفى، يتكوّم الناس فيها فوق بعضهم. أناسٌ كثرٌ من حولي، بعضهم ذهبوا ليساعدوا في إنزال المصابين وخلع ثيابهم قبل أن يبدأ صهريج الماء برشّهم، ومن الداخل يصل إليّ صوت الصرخات. عندما أتذكر المشهد حين دخلت لا يخطر في بالي وصفٌ إلا القيامة. لا طريق بين الناس المرميّين على الأرض، الذين ربما لم يتمّ فحصهم حتى الآن لمعرفة إن كانوا أحياء أم موتى. ثيابٌ مكوّمةٌ هنا وهناك. فوضى عارمة على طاولات المواد الطبية. أناسٌ يحملون مصابين أو شهداء، ومتطوّعو تمريض لم يتدرّبوا على التعامل مع إصابات الكيماويّ ولا يسعهم عمل شيءٍ إلا بتوجيه أحد الأطباء، الذين لم يكن يوجد منهم إلا قلةٌ بينهم الدكتورة أسماء والدكتور صخر.

يقول الدكتور صخر: كنت مدير المشفى، وجاءني النداء عبر اللاسلكي لكي أنزل إليها. أخبروني أن النظام قام بضرب الكيماويّ، فخُيّل لي أن الأمر مثل المرّات السابقة التي كانت على نطاق محدودٍ ضمن جبهات القتال. كنا بدأنا التحضير بشكلٍ بسيطٍ لتدابير المعالجة وتدريب بعض المرّضين، لكن ما رأيته عندما وصلت جعلني أدرك أن تحضيراتنا لم تكن ذات قيمة. حدث ما خشيناه، وانتابني شعورٌ أنها القيامة.

أكوام بشر فوق بعضهم، منهم من يرتعش وآخرونٌ يبدون جثثاً. يخرج الزبد من أفواه بعضهم. بعضهم يضحك وآخرون يصرخون. كانت هستيريا جماعية لا يمكن وصفها.

بدأت بالمشاركة في معالجة المصابين الذين كانوا أكبر من قدرة أيّ مشفى في أيّ دولةٍ متطورةٍ على استيعابهم. الآلاف هنا، بعضهم كان شبه ميؤوس منه، لذا فضّلنا معالجة الذي نتوقّع إنقاذ حياته. كان ذلك مثيراً للقهر بشدّة. لم يكن لدينا أيّ لباسٍ خاصٍّ لمثل هذه الحالة، كنا نرتدي ثيابنا الطبية التقليدية.

بعد ساعتين أو ثلاثٍ من العمل المضني بدأ نظري يزيغ، أحسست بالتشوّش والاختناق، تركت المرضى وجلست أبكي. وبعد لحظاتٍ انهارت قواي ووقعت أرضاً. أحسست بأطباء حولي يفحصونني، ثم أخذوني إلى صهريج المياه خارجاً وغسلوني بها. كان هذا آخر ما أتذكره قبل أن أجد نفسي في غرفة العناية المشددة. أردت أن أخرج للعودة إلى المرضى لكن الطبيب منعني. كنت لا أرى جيداً ولا أملك قوّة للنهوض، قال لي إنني استنشقت من

الغازات التي كانت عالقة في ثياب المرضى وأجسادهم. لكنني كنت أريد العودة إلى المرضى الذين هم في أمسّ الحاجة إليّ الآن. وفي الوقت نفسه كنت أشعر أنني ميت لا محالة.

مع بزوغ الفجر سمحوا لي بالعودة بعد تحسّن حالتي. وجدت ركناً تمّ فيه تجميع الجثث وإعطاء كلٍّ منها رقماً، كان منظرها مهولاً. أطفالٌ ونساءٌ ورجالٌ تجاوز عددهم المئتين. طلبت من ممرّضة أن تساعدني في أخذ عيّنات الدم من الشهداء وتسجيل رقم الجثة على كلّ أنبوب. كان لديّ هاجس توثيق هذه الجريمة منذ أن كنت أعالج المرضى. كنت خائفاً أن لا يصدقنا أحد، فالمنظر لا يصدّق بالفعل.

كنت مدير المكتب الطبيّ الموحّد حينها، وأحصينا 1477 شهيداً وحوالي عشرة آلاف مصاب من كلّ المشافي. بدأت بالتواصل، في اليوم الخامس، مع لجنة الأمم المتحدة لتقصّي استخدام السلاح الكيماويّ التي كانت قد وصلت إلى دمشق. رفضوا بدايةً فكرة القدوم إلى الغوطة، وطلبوا منا أن نجمع العيّنات ونوثّق الحالات ثم نرسلها إليهم. كانت الشروط التي طلبوها لقبول العيّنات والتوثيق مستحيلة في أوضاعنا. فأخبرتهم أنهم لا يبعدون عنا إلا عشر دقائق بالسيارة، وبإمكانهم القدوم والتوثيق بالشكل الذي يحلو لهم. وضعوا شروطاً قبلناها كلها.

حين وصلوا كنا في استقبالهم وأخذناهم إلى النقطة الطبية التي قمنا بتجهيزها كما طلبوا. لم يقبلوا منا أيّ طعام أو شراب، كانت معهم كلّ حاجياتهم. قابلوا حوالي 30 مصاباً، أخذوا منهم عينات الدم والبول والشعر. كانوا شديدي التعاطف مع المصابين الذين رووا لهم ما حدث وكم فقدوا من أهلهم في المجزرة. اصطحبناهم أيضاً إلى المقبرة ليأخذوا عيّناتٍ من الجثث، وزاروا معنا أماكن القصف وبيوت الضحايا. كان هناك صاروخٌ مغروزٌ في الأرض يشير إلى جهة إطلاقه من دمشق. أحد البيوت كان لا يزال ينتظر أهله، وجبة عشاء على مائدة الطعام، صحونٌ وكؤوس شاي مليئةٌ لنصفها، وأرغفة خبز لم تكتمل.

حين قرأت تقريرهم في ما بعد وجدته منصفاً، لم يذكروا النظام بالاسم لكن كان واضحاً أن كلّ الدلائل تشير إليه ولا لأيّ أحدٍ غيره. لكن المشكلة هي في الدول الكبرى التي لا تريد محاسبة الفاعل. دماء السوريين غير مهمة لهذا العالم.

الكيماويّ الأسديّ والقرارات الدولية

ناصر عنتابي

قبل أيام من حلول الذكرى السنوية الثانية لمجزرة الكيماويّ في الغوطتين؛ تبنّى مجلس الأمن الدوليّ قراراً يقضي بتشكيل لجنة خبراء مشتركة بين الأمم المتحدة ومنظمة حظر الأسلحة الكيماوية للتحقيق في استخدام السلاح الكيماويّ في سوريا، وتحديد الأفراد والجهات المسؤولة عن هذا الاستخدام. وفي حين رحّبت العديد من الجهات السياسية بهذا القرار المبدئيّ؛ لم يلقَ الكثير من الاهتمام في أوساط السوريين، لانعدام ثقتهم بردود الأفعال الدولية على جرائم النظام بشكلٍ عام، ومنها تلك التي أعقبت المجزرة الكيماوية على وجه الخصوص، بالرغم من وجود دلائل واضحة تثبت تورّط الأسد ونظامه.

تقارير المنظمات وتصريحات المسؤولين

أصدرت منظمة هيومن رايتس ووتش تقريراً أشار بشكلٍ مباشر إلى مسؤولية قوّات الأسد عن المجزرة، استناداً إلى روايات الشهود وسجلات الضحايا الطبية وبقايا الصواريخ المستخدمة. وكذلك الحال بالنسبة إلى منظمات حقوق الإنسان المحلية، إذ صدر العديد من التقارير الموثقة في هذا الصدد. كما جاء في تقرير فريق المحققين المستقلين التابع للأمم المتحدة أن «مصدر المواد الكيماوية المستخدمة في هجوم الغوطة، وقبلها في سرمين، وسراقب لاحقاً، هو مستودعات الجيش السوريّ». أما في تصريحات المسؤولين الدوليين فقد تحولت مجزرة الغوطتين إلى مناسبة للتراشق السياسيّ، إذ حمّلت حكومات كلٍّ من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وألمانيا النظام المسؤولية، بناءً على أدلة استخباراتية كشفتها كلّ دولة على حدة، بينما اتهمت روسيا ما تسمّيه «قوّات المعارضة» بالهجوم، لينتهي الأمر باتفاق تدمير «الترسانة» الكيماوية المصرّح عنها من قبل النظام، الذي أعلن عن الانتهاء من تدميرها نهاية شهر تموز الماضي.

هجمات غاز الكلور

على الرغم من ادّعاء النظام تسليم كامل مخزوناته من غاز السارين والخردل للجهات الدولية المسؤولة؛ فإن هجماته الكيماوية لم تتوقف، اذ وثقت العديد من المنظمات ما يزيد على 125 هجوماً بغاز الكلور السام على مختلف المناطق السورية عبر البراميل المتفجرة والقذائف، مخلفةً مئات الشهداء وآلاف الجرحى، بحسب تقارير الشبكة السورية لحقوق الإنسان وشهادات الناشطين.

رحّبت الدول الغربية الكبرى بالقرار رقم 2235 الصادر عن مجلس الأمن مؤخراً، لكن يبقى أن قراراً أكثر أهميةً لم يُتخذ بعد، وهو محاسبة الأسد على جرائمه. ليظلّ هذا الأمر متروكاً للإجراءات البيروقراطية والتجاذبات السياسية، بعد مرور عامين على المجزرة الكيماوية وخمس سنواتٍ على كلّ الفظائع الأخرى.

من جلسة تصويت مجلس الأمن

من سيرة نفط دير الزور بعد الثورة
تنظيم الدولة والنفط (1)

(مادةٌ مأخوذةٌ من دراسةٍ عن النفط في المحافظة، منذ خروجه ومنشآته عن سيطرة النظام وحتى الآن. أعدّها فريقٌ من الباحثين. وصدرت مؤخراً عن «عين المدينة»)

محطة الغاز في دير الزور

ديوان الركاز

الركاز مصطلحٌ فقهيٌّ إسلاميٌّ يقصد به الثروات المدفونة في باطن الأرض. ونظراً لطبيعة العمل النفطيّ، وما يتطلبه من معطياتٍ تتخطّى التحديد والتقسيم الإداريّ لما يسمّيه التنظيم «الولايات»؛ يشرف ديوان الركاز على عمل المنشآت النفطية في أربع «ولاياتٍ» هي، وفق تسميات التنظيم: الخير (تضمّ الجزء الأكبر من دير الزور)؛ الفرات (أجزاء من سورية والعراق)؛ البركة (الحسكة)؛ الرقة. ويتبع ديوان الركاز لهيئةٍ أعلى، تشرف بدورها على ديوانٍ آخر للركاز يعمل في مواقع النفط في العراق.

تشغّل منشآت النفط في «ولاية الخير» إدارةٌ خاصّةٌ، تتركز معظم مكاتبها في الموقع الرئيسيّ لحقل العمر. ويمكن تقسيم المكاتب والإدارات التي تتفرّع عنها وفق الواقع الحاليّ (نهاية الشهر 5 من العام 2015) إلى ما يلي:

1- إدارة الإنتاج: وهي المسؤولة عن إدارة العمليات الإنتاجية في المواقع المختلفة وفق ما يلي:

أ- الموقع الرئيسيّ لحقل العمر والآبار القريبة والمتصلة بمحطته الرئيسية.

ب- مجموعة الآبار الواقعة بين نهر الخابور وحدود حقل التنك (المتصلة بمحطاتٍ والمنفردة)، وآبار محطة العزبة - غرب الخابور- التابعة سابقاً لحقل العمر.

ت- الموقع الرئيسيّ لحقل التنك والآبار القريبة والمتصلة بمحطته الرئيسية.

ث- مجموعة الآبار (المتصلة بمحطّاتٍ والمنفردة) التابعة سابقاً لحقل التنك.

ج- مجموعات الآبار التابعة سابقاً لمحطّة العشارة.

ح- معمل غاز كونيكو والآبار القريبة منه في حقل الجفرة، وحقل العطالة والحقول الصغيرة الأخرى التابعة سابقاً لشركة دير الزور للنفط.

خ- الآبار التابعة سابقاً لمشروع حقل «ديرو».

د- بئرا الرشيد في منطقة الكسرة بالريف الغربيّ لدير الزور.
ذ- مجموعات الآبار التابعة لمحطة الخرّاطة.
ر- حقل التيّم.
ز- الآبار التابعة سابقاً لحقل الورد.

ويضاف إليها قسم إنتاج الغاز. وهو المسؤول عن معمل غاز كونيكو (إلى جانب كادر إدارة المعمل من الموظفين الحكوميين)، وكذلك عن تشغيل وحدة فصل الغاز المرافقة للنفط في المواقع والمحطّات التي يتمكن الجهاز النفطيّ من تشغيلها.

2- قسم الصيانة: وهو شديد الأهمية في أعمال النفط بشكلٍ عامٍّ. وتتضاعف أهميته في جهاز تنظيم الدولة النفطيّ بسبب ظروف العمل المعقدة والمعزولة عن العالم الطبيعيّ لشركات النفط.

تتركز ورشات الصيانة الرئيسية، التي تقوم بالأعمال الأساسية والكبيرة، في الموقع الرئيسيّ لحقل العمر. ومنه تنطلق في أعمالها اليومية بحسب البرنامج المحدّد والمعطيات المتغيرة، وفي حالات الأعطال التي تعجز فيها الورش الفرعية الصغيرة لكلّ موقع نفطيٍّ.

ويتألف قسم الصيانة، بدوره، بحسب نوع الأعمال، من الأقسام التالية: صيانة الآبار؛ صيانة الأنابيب والخزّانات؛ الصيانة الميكانيكية؛ الصيانة الكهربائية؛ صيانة الأجهزة الدقيقة والمضخات الصغيرة؛ صيانة الآليات.

3- الإدارة المالية أو الجباية: المسؤولة عن الواردات المالية من بيع النفط، وعن نفقات التشغيل والصيانة وأجور العمال والموظفين.

وتتفرّع عنها دوائر الجباية الموزّعة على أساس جغرافيٍّ، والتي تدير شبكةً من المحاسبين في كلّ موقع لبيع النفط، إضافةً إلى العمال المتخصّصين بتحديد حجم الصهاريج، أو ما يعرف بـ«المكيّلين»، الذين يعملون في الآبار المنفردة، وكذلك محرّري الإيصالات والبطاقات المرتبطة بعملية بيع النفط.

4- قسم الآليات: هو القسم المعنيّ بتشغيل الآليات الخفيفة والثقيلة بين مواقع العمل المختلفة.

5- قسم الأعمال المدنية: هو القسم المسؤول عن أعمال الحفر والبيتون وغيرها من أعمال الإنشاءات المختلفة.

6- قسم الحراسات: وهو المسؤول عن توزيع طواقم الحراسة في مختلف المنشآت والمواقع النفطية.

وتضاف إلى الأقسام السابقة وحدة إطفاء الحرائق.

الكادر البشريّ:

يجب التمييز بين أربعة أنواع من العاملين في جهاز «الدولة الإسلامية» للنفط في «ولاية الخير».

1- المهاجرون: يحرص تنظيم الدولة على تعيين المهاجرين في المناصب القيادية والحسّاسة، دون اهتمام كبير بالخبرات الفنية لهم. وباستثناء أبو الوليد المصريّ، المديرِ السابقِ لقسم الصيانة في «ولاية الخير»، لم تظهر كفاءاتٌ علميةٌ أو مهاراتٌ لافتةٌ من بين المهاجرين، رغم تقديمهم لأنفسهم على أنهم مهندسون. إلا أن الحقيقة أن معظمهم (إن لم يكن جميعهم) لم يتلقوا أيّ تعليم جامعيٍّ في مجال النفط. وكلّ المعارف المهنية لديهم -إن وجدت- متحصّلةٌ عن عملٍ سابقٍ في إحدى شركات النفط.

فأبو العباس السودانيّ، رئيس قسم الصيانة، على سبيل المثال، فنيٌّ سابقٌ في شركة نفط. وكذلك الحال بالنسبة إلى رئيس الإدارة أبو عبد الرحمن الجزراوي (سعوديّ) الذي يشكك الكثيرون في أنه مهندس نفط.

2- السوريون المبايعون: لم يظهر في صفوف المبايعين لتنظيم الدولة، حتى وقتٍ قريب، أيّ مهندسٍ. وكذلك الحال تقريباً بالنسبة إلى الفنيين المهرة، عدا قلةٍ منهم (أقلّ من عشرة أشخاص) ممن بايع التنظيم. فيما يتركّز العدد الأكبر من السوريين المبايعين في العمال العاديين ذوي الخبرات المحدودة في أعمال النفط.

3- السوريون المتعاقدون: هم الكتلة الأشدّ أهميةً في كادر تنظيم الدولة النفطيّ. وعليهم تقع الأعباء الكبرى في تشغيل وصيانة المنشآت النفطية المختلفة. يبلغ عدد المهندسين المتعاقدين 40 مهندساً، بحسب تقديراتٍ دقيقة. يتقاضى كلٌّ منهم أجراً شهرياً يتراوح بين 200 – 300 ألف ل. س. فيما لا يتجاوز عدد الفنيين المتعاقدين 80 شخصاً. يتقاضى الواحد منهم 120 – 200 ألف ل. س. ويزداد عدد العمال كلما توسّع التنظيم في أعماله النفطية. ولا يقلّ العدد الحالي للعاملين غير المختصّين، بين عمالٍ عاديين ومحاسبين وحرّاسٍ وغيرهم، عن 700 عامل. يتقاضى كلٌّ منهم 75 – 100 ألف ل. س.

4- الموظفون الحكوميون: ما يزال العشرات من موظفي شركة الفرات للنفط في حقل العمر، من مهندسين وفنيين، على رأس عملهم، دون أن يتعاقدوا مع التنظيم، مكتفين برواتبهم من وزارة النفط التابعة للنظام. إضافةً إلى مكافآتٍ متقطّعةٍ يدفعها التنظيم بين حينٍ وآخر لهم، لا تزيد، في أفضل الأحوال، عن 10 آلاف ل. س. وكذلك الحال، وبدرجةٍ أكبر، بالنسبة إلى موظفي معمل غاز كونيكو.

وبالإضافة إلى اعتماد التنظيم على الخبرات العالية للصنفين الأخيرين من الكوادر المحلية، كما هي حاله في كثيرٍ من القطّاعات الخدمية وسواها؛ فإنه يحاول دوماً دفع قياديين من المهاجرين إلى استنساخ خبرات مرؤوسيهم هؤلاء، الذين لا يضمن ولاءهم واستمرارهم في العمل معه.

أهم الأعمال التي حققها جهاز تنظيم الدولة النفطيّ:

نجح التنظيم في تغيير مناخ وطرائق العمل البدائية التي سادت في عهد القوى التي سيطرت قبله على منشآت النفط بدير الزور. ويمكن تحديد نوعين رئيسيين من الأعمال التي حققها التنظيم في قطاع النفط؛ يتعلق الأوّل بالجانب الفنيّ والثاني بالجانب الإداريّ والماليّ.

1- الأعمال الفنية:

أ- صيانة وتشغيل محطة معالجة النفط (CPF Central Production Facility) في كلٍّ من موقع حقل العمر وحقل التنك الرئيسيّين.

ب- صيانة وتشغيل المحطّات الثانوية (Sub-Stations) التالية: الغلبان؛ الشاهل؛ الطيانة؛ العشارة؛ العزبة. ويواصل الفنيون عملهم في هذا الاتجاه. ويُتوقع تشغيل محطّاتٍ ثانويةٍ جديدةٍ في الأشهر القليلة القادمة.

ت- ربط أكثر من 50% من الآبار المنفردة[1]، التي عُزلت

1- يقع بعض هذه الآبار على مسافة عشرات الكيلومترات من المحطات.

في السنوات السابقة عن المحطّات الثانوية بفعل أعمال التخريب المرافقة للاستخراج العشوائيّ للنفط.

ث- إعادة استخدام تقنيات الحقن المائيّ (Water Injection) في المحطتين الرئيسيتين لحقلي العمر والتنك، مع ما يلزم ذلك من أعمالٍ مرافقةٍ، مثل صيانة آبار الحقن (Injector Wells) وتشغيل المضخّات وصيانة الأنابيب والمحطات.

ج- تشغيل وحدات الغاز والضواغط(Gas Compressors) ، ووحدات فصل الغاز المرافق للنفط الخام واستثماره ((Separators في كلٍّ من محطتي التنك والعمر الرئيسيتين.

ح- مدّ خطّ توترٍ عالٍ (H.V Overhead line)، بطول 11 كم، بين موقع حقل التنك الرئيسيّ ومحطة الغلبان.

خ- صيانة خطوط أنابيب النفط والغاز (Pipelines) بين حقلي التنك والعمر. والتي يتجاوز طولها 30 كم، بقطر 16 إنشاً لأنابيب النفط، و8 إنشات للغاز.

د- تشغيل عشرات الآبار الخارجة عن الخدمة.

ذ- استعمال طريقة القمع المقلوب لإطفاء حرائق الآبار.

ر- زيادة المتوسط اليوميّ لإنتاج الغاز المنزليّ إلى 5000 أسطوانةٍ في محطة التعبئة.

ز- تحسين مواصفات النفط المنتج بشكلٍ عامٍّ. وذلك بإخضاع النفط المستخرج من الآبار للمعالجة في المحطات المشغلة.

2- الأعمال الإدارية والمالية:

أ- رغم كلّ الثغرات في نشاط جهازه النفطيّ، نجح التنظيم في خلق بيئة عملٍ منظّمةٍ إلى حدٍّ كبير. فأسّس إداراتٍ وأقساماً تشبه، إلى درجةٍ كبيرةٍ، الإدارات المعمول بها في شركات النفط.

ب- نظّم عمليات البيع. وألغى التعامل بالليرة السورية وحصر البيع بالدولار الأمريكيّ. وقلّص التباين الشديد السابق في الأسعار بين موقعٍ نفطيٍّ وآخر.

ت- حرصٌ على استقطاب الخبرات والكفاءات المحلية من موظفي شركات النفط.

ث- رغم بعض المظاهر الجزئية لفساد المحاسبين على الآبار المنفردة والبعيدة عن مراكزه النفطية، نجح التنظيم في تقليص مظاهر الهدر على الآبار إلى حدٍّ كبيرٍ.

العوائق والتهديدات في عمل الجهاز النفطيّ للتنظيم

1- مشكلات الصيانة وقطع الغيار: حتى الآن، تغلب الفنيون على مشكلات الصيانة باستعمال قطع الغيار التي كانت مخزّنةً في مستودعات شركة الفرات للنفط. وهي مستودعاتٌ ضخمةٌ جدّاً، وخاصّةً بعد أن أضيفت إليها مستودعات الشركات الأخرى والشركات الخاصّة، فصار المجموع كافياً حالياً لتشغيل مزيدٍ من المحطّات وصيانة الأنابيب والمضخّات والتجهيزات والعدد المختلفة. إلا أن هذه المستودعات ستنفد في النهاية، وخلال ستة أشهر على الأرجح، بحسب ما يقدّر فنيون عاملون الآن في قطاع النفط. وهو تقديرٌ يدركه مسؤولو التنظيم النفطيون. ولذلك بدأت ورشاتٌ مختصّةٌ، ومنذ أربعة أشهر، بإعادة تأهيل بعض قطع الغيار المستعملة سابقاً، والتي لا يُعاد استعمالها عادةً في أعمال النفط، إلا أن الحاجة المتوقعة إليها اقتضت ذلك.

2- استحالة تصدير النفط والبيع خارج حدود ما يسمّيه التنظيم «الدولة الإسلامية»، إلا في حالات التهريب التي تضاءلت مع تشدّد الدول الإقليمية. بل ظهرت، في أجزاء من العراق، ظاهرة تهريبٍ عكسيةٍ للنفط من إقليم كردستان، وبيعه بأسعارٍ أقلّ من التي يطلبها التنظيم.

3- هجمات طائرات التحالف: حتى الآن، وبالمعدّل الحاليّ، لا تشكّل هذه الغارات تهديداً جوهرياً لقطاع النفط في «ولاية الخير». فقد نجح التنظيم، إلى حدٍّ بعيدٍ، في التعامل مع هذه الهجمات من خلال ما يلي:

أ- إبعاد مواقع البيع عن المنشآت الرئيسية إلى مسافاتٍ قد تزيد عن 5 كيلومتر، عبر أنابيبٍ مدفونةٍ في باطن الأرض، تتفرّع في نهايتها إلى أكثر من 24 منهلاً من الموقع الرئيسيّ لبيع النفط في حقل العمر، و12 منهلاً من الموقع الرئيسيّ لبيع النفط في حقل التنك. وكذلك الحال في بقية المواقع، وفق كميات النفط المباعة في كلٍّ منها. ليكون التأثير الأقصى المحتمل لأية غارةٍ هو توقف البيع لمدّةٍ وجيزةٍ، تنجح خلالها وحدة الإطفاء في إخماد الحرائق، ثم تبدأ ورشات الصيانة عملها، ليكون الموقع جاهزاً خلال وقتٍ قياسيٍّ.

ب- تخلى التنظيم عن فكرة تكرير النفط وتشغيل مصافٍ كبيرةٍ، تاركاً ذلك للأهالي عبر مئات الحرّاقات الصغيرة المتوزّعة في مساحاتٍ جغرافيةٍ شاسعةٍ، بعد أن دمّرت طائرات التحالف المصافي التي استولى عليها من القوى والجهات التي عملت في مجال النفط قبل سيطرة التنظيم على المحافظة.

وتجب الإشارة هنا إلى أن الخسائر البشرية، في كلّ مرّةٍ تهاجم فيها طائرات التحالف مواقع ومنشآت النفط، تركّز معظمها في صفوف المدنيين، سواء أكانوا من العاملين على الآبار أو مناهل البيع، أم من التجار وسائقي السيارات وغيرهم ممن يصادف وجودهم في المواقع المستهدفة[2].

4- تسلّط عناصر التنظيم، ولا سيما المهاجرين منهم، على الخبراء الفعليين من المتعاقدين أو الموظفين الحكوميين. ولا يؤدّي هذا إلى آثارٍ شخصيةٍ من الامتعاض والحنق فقط، بل يتجاوزه إلى أخطاءٍ عمليةٍ كثيرةٍ، حين يصرّ القياديّ المهاجر وقليل الخبرة على تنفيذ قرارٍ يرى الخبراء المحليون أنه خاطئ.

5- التراجع الطبيعيّ في إنتاجيات الآبار، نتيجة انخفاض الضغوطات الطبقية بسبب الاستجرار المتواصل، انتهاءً بنفاد المخزون القابل للاستثمار.

2- لا تتجاوز نسبة عناصر التنظيم 10% من عدد العاملين في كلّ موقعٍ نفطيٍّ استهدفته طائرات التحالف.

وطنهم ووطننا

ليست هذه أوّل مرّةٍ يقسم فيها رأسُ النظام الكيماوي السوريينَ بين أخيار وأشرار من وجهة نظره، «وطنيين» و«خونة» باللغة الأكثر شفافية. سبق له وأعلن، في ربيع العام 2012، أنه يكتفي بتأييد قسم من «الشعب السوري» ولا يطمح إلى إرضاء الجميع، لأن ذلك غير ممكن. لكنه دفع الأمر، هذه المرّة، إلى أقصاه بالتصريح عن أن «الوطن ليس لمن يسكن فيه أو يحمل جنسيته أو جواز سفره، بل لمن يحميه».

بكر صدقي

لطالما كان الأمر هكذا، على أيّ حال. لطالما كان معيار الوطنية هو الولاء للنظام. عاش الكثير من السوريين حياتهم كلها غرباء في بلدهم، مشكوكاً في وطنيتهم، ليس لأنهم معارضين في جميع الحالات، فهؤلاء كانوا قلة قليلة دائماً بسبب الكلفة المرتفعة لمعارضة النظام علناً.. بل كذلك لأنهم مهمّشون بلا سند في السلطة التي دأبت على توزيع المنافع على الأتباع والموالين، إلى جانب صكوك الوطنية. فكان حلم ملايين السوريين، طوال حكم بيت الأسد، هو الحصول على عقد عمل في بلدان الخليج النفطية أو في ليبيا. كان هذا حلم الكادر التعليميّ والمهندسين والأطباء والعمال وغيرها من الاختصاصات. أما الأقل طموحاً فقد كانت وجهتهم لبنان حيث الأعمال التي لا تتطلب تعليماً أو تدريباً خاصاً كالبستنة أو أعمال البناء أو ما في مستوى ذلك.

هذه التفاصيل التي يعرفها كل السوريين، ضروريٌّ أن نذكرها هنا للكلام عن «الوطنية». واضح من الأمثلة السابقة أن «الوطن» لم يكن يوماً لجميع من ولدوا على الأرض السورية وعاشوا حياتهم في مدنها وقراها. هناك ملايين السوريين ممن ضاقت بهم سبل العيش فبحثوا عن أوطان بديلة، سواء بصورة مؤقتة (سنوات) أو دائمة. أما خيرات البلد فهي للطغمة الحاكمة وأجهزتها الأمنية وأتباعها ومن تختارهم من الموالين. كان من غير الممكن أن يبرز صناعي أو تاجر أو رجل أعمال وتزدهر أعماله ما لم يخضع لفحص ولاء وينال رضى النظام وأجهزته الأمنية، وما لم يشارك ضباطاً في أرباحه. وإلى جانب المراقبة الأمنية الدقيقة للعمالة في مؤسسات الدولة والقطاع العام، كان القطاع الخاص أيضاً تحت رقابة وابتزاز دائمين، بما في ذلك القطاع غير المنظم أو غير القانوني. مثال ذلك دوريات فروع المخابرات التي كانت تقوم بـ«زيارة» مكاتب التعليم غير المرخصة التي تقدم الدورات المأجورة للطلاب. وبدلاً من إغلاقها، كما يقضي القانون، كانوا يحصلون على الخوّة وينصرفون، من غير أن يشكل التزام المكتب بدفع الخوّة أي ضمانة لعدم إغلاقه أو محاسبة القائمين عليه أمام القضاء. لم يكن هذا مجرد شكل من أشكال الفساد الذي لا تخلو منه دولة في العالم، بل جزءاً من عملية التطويع والإذلال المنظم للرعية؛ كسر رأسهم وعينهم بشتى الوسائل ومنها نظام الخوّة.

يمكننا إذن الحديث عن ملايين السوريين «اللا وطنيين»؛ إما بسبب طرد النظام لهم من جنة الوطنية لأنهم معارضون له علناً، أو بسبب شعورهم الذاتيّ بأن الوطن ليس لهم بل هو لغيرهم، فيبحثون عن أوطان بديلة تقدم لهم ما يحفظ الحد الأدنى من الشعور بالكرامة. مع أن كرامة الباحث عن رزقه في بلاد غريبة ليست بالأمر البديهي، وخاصة في البلدان النفطية التي يتشاوف سكانها على السوريين والفلسطينيين والمصريين وكثير ممن يعملون عندهم. ومع ذلك ارتضى السوري أن يعمل في تلك البلاد التي تذله، مفضلاً ذلك على مذلته في بلده.

«الوطن» في الأصل مفهوم مثقل بالتحيزات الإيديولوجية، بخلاف مفهوم الدولة الذي يمكن الاتفاق على تعريف موضوعيٍّ له. الانتماء إلى الدولة انتماءٌ سياسيٌّ من المفترض أن يقوم على عقدٍ اجتماعيٍّ هو الدستور، في حين أن الانتماء إلى الوطن انتماءٌ ثقافيٌّ يرتبط بشبكة معقدة من عناصر الثقافة المحلية كاللغة واللهجة والعادات وأنماط الحياة في المأكل والملبس وغيرها من مظاهر ثقافة المجتمع، وعناصر المكان كالحارة والقرية والمدينة. من هذا المنظور يحسن تسمية هذا الكيان بالموطن أو البلد بدلاً من الوطن، لارتباط هذا الأخير بحمولة إيديولوجية قوية، ليس في سوريا والبلدان المشابهة فقط، بل كذلك في جميع بلدان العالم القائمة على فكرة «الدولة - الأمة»، هذا الكيان الحديث جداً في التاريخ العالمي وبدأنا نشهد تجاوزه في العقود الأخيرة. «الوطن» و«الدفاع عن الوطن» و«الموت في سبيل الوطن» هي مفاهيم مترابطة أوجدها الحكام والطبقات الحاكمة لتيسير قيادة المحكومين وتأبيدها.

الوطن وطنهم دائماً وفي كل مكان.
أما وطننا فهو حريتنا وكرامتنا.

بوستيج داعش

سهيل نظام الدين

علّق الديريون سخريتهم من مقابلة محافظ دير الزور؛ التي بثتها إحدى قنوات النظام، على باروكة سيئة التصميم كان يضعها على رأسه. ومع أنّ وضع شعر مستعار عادةٌ شائعةٌ بين الرجال الصلع في سوريا، لكن الناس في الدير لا يحبّون المحافظ -الواقع أنه لا يوجد سوريون كثر يحبّون أيّ محافظ- وهم كانوا سيجدون طريقةً للسخرية منه حتى لو لم يضع باروكته السمجة.

قد يبدو مثيراً للاستغراب أن يكون «بوستيج» المحافظ -ما زال الديريون يحتفظون بالاسم الفرنسيّ العتيق للشعر المستعار- هو المدخل إلى رفض ما قاله الرجل في المقابلة التي بدت أشبه بجلسة تحقيق حزبية منها بلقاء تلفزيونيٍّ، حتى وإن كانت تفاصيل الحديث تتطرّق إلى حال دير الزور المأساويّ، محاصرة من داعش، والنظام، ولا يجد أهلها -حوالى 200 ألف مدنيٍّ- حتى ما يمكن وصفه بخشاش الأرض؛ ليواصلوا حياتهم المكربة بلا أيّ نوع من الخدمات اللازمة لاستمرار هذه الحياة.

ذهب الحديث في المقابلة، وعاد مراراً، إلى قضية مغادرة الديريين المحاصرين في حيّي الجورة والقصور لمدينتهم. وبدا المحافظ صريحاً أحياناً بعجزه عن تقديم أيّ حلٍّ سوى انتظار «قرار القيادة»؛ وهي إشارةٌ واضحةٌ لا يسمح له سقفه الوطنيّ بتجاوزها إلى صراحة الاسم.. بشار الأسد.

وبصرف النظر عن موقفهم اللاذع من «بوستيج المحافظ»، يعيش الديريون الآن، داخل الحصار وخارجه، أسوأ مرحلة تمرّ على المدينة خصوصاً، والمحافظة عموماً، منذ قيام الثورة. وتكفي متابعة قراءة ما يكتبونه على مواقع التواصل، أو مواصلة الاستماع إلى أحاديثهم، بعد الجملة الأولى والشتيمة التفسيرية؛ لكشف حقيقة المرارة التي تفور من حلوقهم.

لا يمكن مغادرة دير الزور بسهولة، ويستحيل البقاء فيها.. هذه هي المعادلة الحالية.

ليس كلّ من يوجد في الجورة والقصور من سكانها أصلاً. هم، في غالبيتهم، من سكان الأحياء التي كانت محرّرة، قبل أن تستولي عليها داعش قادمةً من الريف الشرقيّ الذي اجتاحته بعتاد وأسلحة أميركية -يا للمفارقة- قادمةً من الموصل وتكريت. وهذا سيكون النزوح الرابع لهم منذ آب 2011، حين اجتاحت دبابات الأسد (القيادة التي ينتظرها المحافظ) المدينة لأوّل مرّة، مفتتحةً أربع سنوات من القصف اليوميّ حوّل أحياء كاملة الى ركام يستحيل حتى على أهلها أن يميّزوا ملامح بيوتهم وسطه.

هؤلاء البشر -السوريون- باتوا مجرّد أرقام هامشية، لا يكلّف أحدٌ في العالم خارج سوريا نفسه عناء إحصائهم. وهم ليسوا محظوظين -حالهم حال الغالبية العظمى من مواطنيهم- بما يكفي لتثار قضية حصارهم، وتجويعهم، وقتلهم، وذبحهم، وجلدهم، وصلبهم على أعمدة الطرقات، وتعذيبهم حتى الموت، من النظام

محمد قدور عينية - محافظ دير الزور

وداعش... ازدواجية المجرمين وتعاونهم لا تعني مزيداً من التعاطف، ولا شيئاً من الاكتراث.

تحتاج، كي تنجو من دير الزور التي تحاصرها داعش إلى «أراضي داعش»، في مفارقة سوريالية مرهقة وقاتلة في بعض الأحيان، إلى توفير مجموعة شروط؛ منها أن يوافق ممثلو النظام -المحافظ وربعه في هذه الحالة- على خروجك، وأن تدفع ثمن رحلتك لضباط النظام كبار شبّيحته كي يسمحوا لك بالعبور الى مناطق سيطرة داعش عبر حاجز عياش الذي يفترض أنه خط دفاعهم الأوّل عن المدينة ضد داعش.

ستحتاج أيضاً إلى التأكد من أن اسمك ليس مدرجاً على قوائم المخابرات كعضو سابق في الجيش الحرّ، أو مؤيد له، أو متظاهر نشط في بدايات الثّورة، لأنك ستجد قوائم شبيهةً لدى داعش تنتظرك في معدان -مدينة صغيرة تفصل الحدود الإدارية لمحافظتي الدير والرقة-. وسيكون عليك الخضوع، في هذه الحالة، إمّا لعقوبات يمليها مزاج أمير الحسبة التونسيّ، أو لـ«دورة شرعية» في مكان سرّيّ... لنقل إنه شيءٌ يشبه دورة الإعداد العقائديّ التي ينظمها النظام للمعتقلين العائدين إلى «حضن الوطن»، لكنك في هذه الحالة ستعود إلى «حضن داعش». وسيجد اسمك، وبقية أسماء زملائك، الطريق إلى إحصائيات تورّم داعش المتواصلة، التي تثير الرعب في بلاد العالم السعيدة؛ البلاد التي لم تكن -للصدفة المحضة- تعرف أنّك قادمٌ من مدينة عليك أن تدفع فيها رشوةً هائلةً لتخرج من حصارها نحو من يحاصرها.

الديريون وحدهم لديهم ميزة خيار شراء صفة التشدّد وإلا فإنهم سيموتون من الجوع.

يشكّل الحصار عموماً، وفي كلّ مكان وزمان، تجارةً مربحةً للبعض. ولا تخرج الدير عن هذا السياق المرير، بدايةً بتعاون مكشوف بين طرفي الحصار لتمرير مؤن لا تكفي لسدّ الرمق بأسعار فلكية، وليس انتهاءً برمي النازحين الناجين من ملزمة الموت جوعاً وقصفاً على أرصفة دمشق، ومنعهم من دخول مناطق الساحل حتى وإن كان لهم فيها أقارب أو مكان سكن... آلية الطرد والتهجير المتوازية تلك لا تترك كثيراً من خيارات النزوح التي، في معظمها، ترمي المدنيين نحو مناطق سيطرة داعش مجدّداً.

يجب الاعتراف هنا أن الحياة تحت سيطرة داعش تبدو أسهل من حيث توافر المواد الغذائية، ورخص ثمنها، قياساً إلى مناطق سيطرة النظام -حتى تلك غير المحاصرة منها- لكن في مقابل تحوّل التعذيب حتى الموت في سجون الأسد إلى تعذيب باستخدام الموت في ساحات ذبح وصلب داعش.

ما يحدث في دير الزور هو، ببساطة تقارب شتيمة بذيئة، وضع «بوستيج» اسمه داعش على رأس مذبحة اسمها الأسد.

دمعةٌ على خدّ نازح

«عندما كنت في المعتقل، في ثمانينيات القرن الماضي، كنت أتصوّر أن حياتي ستنتهي فيه. آل الأسد سيبقون في السلطة، ونحن سنموت في السجن». كان أبو محمد يسترجع هذه الذكرى في ذهنه وهو مطرق الرأس عائداً إلى منزله. الآن يعتقلني همٌّ لانهائيٌّ: الأطفال ومستقبلهم، تأمين مازوت الشتاء، سداد الديون، تأمين لقمة العيش، افتقادي للأصدقاء.

أبو محمد الإدلبي

يقترب أبو محمد من المنزل. لو يستطيع بخطوةٍ أن يكون في الداخل! تحرقه الشمس وظمأ شديدٌ يجتاحه. تعبٌ مرٌّ يعيقه ورغبةٌ عارمةٌ في فنجان قهوة. يتذكر مقطعاً لممدوح عدوان، أو ظنّ أنه له: «بخبثٍ أبيض، تمنيت لو أنه يموت قليلا لأعرف طعم الحياة من بعده. لكن خيبات الشيخوخة المبكرة، والمدن المحتلة في الهزائم، علمتنا أن الأشياء الجميلة لا تعود أبداً إن ذهبت...». يدخل المنزل محطماً، يائساً. ما هذا العالم الذي يتنفس التفاهة والبؤس والألم! يتمدّد على أرضية الغرفة. يستعيد توازنه، يحسّ بالهدوء. يفكر بالكتابة. منذ أسبوعين وهو يحاول أن يكتب شيئاً. يفكر كثيراً، يتردد، ثم يعاود التفكير. الكتابة من أصعب الأمور. إنها أشغالٌ شاقة. هي كلّ الأعمال المستحيلة لإعادة بناء العالم من جديد.

يتذكر أيامه الأخيرة في سجن حلب المركزي. قام السجناء والمعتقلون السياسيون بمحاولةٍ للاستعصاء، ثم تطوّرت إلى محاولةٍ للهروب من السجن. كان ذلك في منتصف 2012. قُتل من قُتل من السجناء، ثم بدأ الانتقام الرهيب من قبل عناصر النظام. كان أغلبهم من لونٍ طائفيٍّ واحد. جاؤوا بشابٍّ ملتحٍ وأخذوا يضربونه بالشحاطة على وجهه بقسوةٍ عشرات الضربات، وهو يتأوّه بصوتٍ خافت. كان أحد الحرّاس يقف مراقباً المشهد، وجهه يعبّر عن الحزن والتعاطف، وكان يشعر بالذل والمهانة. بعد أن انتهوا من تعذيب السجين طلبوا منه أن ينضم إلى زملائه ويهتف معهم ذلك الهتاف الذي رسم ذلّ الشعب السوري: «الله، سوريا، بشار وبس!».

يرتشف أبو محمد كوباً من الماء. تأتيه ابنته بالقهوة. يغمض عينيه. يتذكر مقاطع من قصيدةٍ لعلي الجندي: «قد تضيق العبارة، لكن قهوته في الضحى المشرئب افتتاحٌ وفتحٌ. وقد يستقي النار من قطع الثلج في الماء، أو يرتقي السحب البيض من تبغٍ أسود. قد ينام، ولكن مع الفجر، معتنقاً حلماً للفتوّة. قد يقذع القول، لكن كفيه غضّان». صحا من تأمله، ارتشف قهوته بلذةٍ. ومع عددٍ من لفافات التبغ عاد لممارسة ألمه المعتاد. كان يفتقد الأصدقاء ويحنّ إلى المقهى في حلب. منهم مَن غادر إلى تركيا، ومنهم من انقطعت أخباره في رحلة التيه السورية. عندما ذهب إلى عنتاب في نهاية شتاء هذا العام، في زيارةٍ قصيرة، التقى بعددٍ منهم. انتعشت روحه لمرآهم، لكنهم أثاروا حزنه في نفس الوقت. بدوا له غرباء، علاقاتهم ببعضهم مفككة، وكلٌّ يبحث عن بقائه. عندما رجع إلى قريته كان كمن زُجّ ثانيةً في السجن! عاد ليجترّ آلامه وبؤسه ووحدته. صحيحٌ أنه يخالط الناس ويلتقي بهم ويسهر معهم ويناقشهم، لكنه كان وحده. كان دائماً يردّد بيتاً من الشعر لسعدي يوسف: «أمشي مع الجميع وخطوتي وحدي!». عاد بذاكرته إلى المقهى الذي كان يرتاده أيام الجمَع وفي بعض المساءات الجميلة. كان الأصدقاء يتجمعون على طاولة واحدة ويثرثرون في مواضيع شتى. وحين يتوقف الكلام قليلاً كان المرحوم أبو جهاد يسأل: ما العمل؟ يضحك أحد الأصدقاء ويقول: سؤالٌ بسيطٌ جداً لكن العالم كله لا يستطيع الإجابة عنه!! تداهم الظهيرة أبو محمد بحرِّها القاتل. يمشي في الغرفة جيئةً وذهاباً، كما في أيام المعتقل، لكنه يشعر بالحرية. يحاول أن ينام قليلا، لكن عبثاً! يأتي المساء. يهاجم القنوات الإخبارية كلها: استشهد العشرات في دوما؛ مجزرة في إدلب؛ اقتحام سجن حماة المركزي لفضّ استعصاء السجناء. يستمع إلى عددٍ من المحللين السياسيين يكرّرون كلام مملاً. يغلق التلفاز ثم ينام.

في الصباح، عندما جاءت ابنته بفنجان القهوة، لم يتحرّك. شاهدت على خدّه الأيسر دمعةً. وإلى جانبه قرأت ما كتبه قبل أن يموت، أبياتاً لمحمود درويش: «وحاربتُ وحدي، انتصرتُ على الخوف. وسأحارب من أجل مملكة البصل الأخضر والبقدونس الذي ينمو في حوض صغير، من أجل حقّ الناس في النوم في الساعة التي يريدونها، وحقهم في الحلم بلا خوفٍ وآلة تسجيل. سأحارب من أجل تحليل الأحزاب وتحريم الحزب الواحد...».

فورين بوليسي

الجهاديّ أبـو إبراهيم.. عودة الابن الضال

فيرا ميرونوفا وسام ويت وأحمد مهيدي
فورين بوليسي/ 10 آب
ترجمة مأمون حلبي

لأبي إبراهيم، 22 عاماً، شكل طالب جامعيٍّ نموذجيٍّ في أوروبا أو الولايات المتحدة. فهو طويلٌ ووسيم، يرتدي بنطال جينز وتي شيرت، حليق اللحية والشارب مع قَصّة شعرٍ جديدة؛ على خلاف ما كان عليه مظهره السنة الماضية عندما كان له شعرٌ طويلٌ ولحيةٌ كثةٌ أثناء خدمته كأمنيٍّ مع «الدولة الإسلامية»، مكلّفٍ بالحفاظ على حكم الجماعة الوحشيّ في سوريا. من تشرين الأول 2014 وحتى أيار 2015، عمل أبو إبراهيم في المكاتب الأمنية للتنظيم في الرقة ودير الزور.

هو واحدٌ من خمسة أبناء لعائلة من الطبقة الوسطى من ريف الرقة. عندما بلغ سن الرشد ذهب إلى الجامعة في مدينة دير الزور لدراسة علوم الحاسوب، وكان في نهايات سنته الأولى عندما بدأت الثورة. كان والده خائفاً عليه. يعود أبو إبراهيم بذاكرته إلى تلك الأيام: «كان ثمة الكثير من المظاهرات في الجامعة، لذا كان أبي قلقاً من أن أعتقل». عائلته -شأن كثير من العائلات في قريته- لم تساند الثورة، بسبب ذاكرة القمع الوحشيّ لنظام حافظ الأسد للانتفاضة التي حدثت في ثمانينات القرن الماضي. أما أبو إبراهيم نفسه فلم يكن لديه رأيٌ عن الثورة إلى أن بدأ النظام يعتقل زملاء الدراسة والأصدقاء، وحينها بدأت الكراهية. «ذات يوم شاهدت 3 سيارات متوقفة قرب منزل جارنا»، قال أبو إبراهيم وهو يصف أيامه في دير الزور. «فهمت أن ذلك المنزل فيه ثوريٌّ، لكن عندما شاهدتهم يعتقلون فتىً لا يتجاوز 15 عاماً بدأت الأمور تلهب حماسي». عندما أصبح من المستحيل على أبي إبراهيم متابعة دراسته في دير الزور، عاد إلى بلده متوقعاً أنه سيبقى هناك أطول قليلاً من العطلة المعتادة. لكن أثناء وجوده هناك استولت جبهة النصرة المرتبطة بالقاعدة، ووحدات مرتبطة بالجيش السوريّ الحرّ، على مدينة الرقة، وفجأةً وجد نفسه في أرضٍ محرّرة. بعد أن شهد العنف في دير الزور، كان مسروراً لتحرّر منطقته من النظام. لم يكن لديه الكثير ليفعله في الرقة، مما دفعه إلى أن يبدأ بقضاء الوقت مع بعض الأصدقاء الذين كانوا قد التحقوا بجبهة النصرة ومناقشة تاريخ الجهاديين المجيد. كانت معظم تلك القصص عن مقاتلين مثل عبد الله عزام، لكن أكثر ما أثّرَ فيه كانت روايات عن تفجيرات جبهة النصرة لمبانٍ حكومية في دمشق في 2012. بدا له أن الجبهة كانت تشكل فارقاً. «كنت أفكر جدياً بالانضمام إليهم». لكن قبل أن يستطيع الالتحاق بهم سيطرت «الدولة الإسلامية» على مدينة الرقة سيطرةً تامة، وكان على جبهة النصرة الانسحاب. بعض أصدقائه رحلوا مع الجبهة، لكن آخرين انضموا إلى «الدولة»، فازدادت معرفة أبي إبراهيم بالتنظيم. «كان أصدقائي الداعشيون يحكون لي عن الفرق بين النصرة وداعش، لكن هذا لم يكن واضحاً»، قال، مستعملاً الأحرف الأولى من اسم التنظيم ذات الدلالة التحقيرية. «هكذا بدأت أحضر دروساً لداعش». واقعة أن أبي إبراهيم كان يشير إلى الجماعة باسم داعش عوضاً عن «الدولة» مؤشرٌ على مرارته الحالية تجاه الجماعة.

أثناء دروس العقيدة والشريعة تعلم أبو إبراهيم أن كل من لا يساند «الدولة الإسلامية» يُعدّ كافراً. حتى أعضاء جبهة النصرة لم يكونوا مسلمين كفاية لأنهم، حسب "الدولة"، لم يكونوا آبهين لقواعد الإسلام، وكانوا ذي لين مع المدنيين، ولم يكونوا مقاتلين جيدين.

«بدا الأمر مقنعاً بما يكفي»، قال أبو إبراهيم. وفي تشرين الأول 2014، وبعد إنهائه للدورة، بايع الجماعة رسمياً. كانت شهوره الأولى على ما يرام. وبما أنه لم يكن قد قاتل مع أي جماعة أخرى، فقد اعتُبر عضواً مثالياً. كان هذا الأمر هاماً للذين يقودون الجماعة: إنهم يرتابون بالمقاتلين السابقين، لأن واقعة أنهم قاتلوا في وقتٍ ما لصالح مجموعاتٍ أخرى تشكّك في تصميمهم على بناء دولة «إسلامية» بحق. كانت له علاقات طيبة جداً مع قادة الجماعة المحليين، لذا دعوه إلى العمل في المكتب الأمنيّ في الرقة، الذي كان أهمّ جهاز في الجماعة المتشددة، فعلى عاتقه تقع مسؤولية ضبط الأراضي التي تحت سيطرة التنظيم وضمان أمن مؤسساته وقيادته. يقول أبو إبراهيم: «لست متأكداً من سبب اختيارهم لي، لكن هذا لم يكن مهماً؛ لقد كان مكاناً جيداً أعمل فيه». بالإضافة إلى السلطة التي تمتع بها بعمله في هذا الجهاز، كان يتلقى مرتباً شهرياً يبلغ 250 دولاراً. نجح في البداية، بفضل تدرّبه في علوم الحاسوب، في الحصول على وظيفة التدقيق في حواسيب المعتقلين والمطلوبين بحثاً عن ملفاتٍ وإيميلاتٍ محذوفة. لكن لم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى نُقل للعمل في دير الزور، وهناك كانت مهمته جمع معلوماتٍ عن الناس. يقول أبو إبراهيم: «كنت أذهب إلى صالونات الحلاقة وأصغي أثناء انتظاري لدوري، وكنت أذهب إلى المساجد بعد الصلاة وأنصت إلى أحاديث الناس متظاهراً أني أقرأ القرآن».

في غضون ذلك كانت مشاركة أبو إبراهيم مع التنظيم تدمّر روابطه العائلية. والده حتى اليوم لا يناصر الثورة، ولا أحد من إخوته يقاتل في الحرب. يقول أبو إبراهيم: «قال لي أبي إنه سيفعل لي أيّ شيءٍ إن تركت التنظيم. سيساعدني على إيجاد فتاةٍ أتزوجها ويدفع تكاليف الزفاف، لكني لم أهتم. الصداقة بين المقاتلين كانت أكثر شيء استمتعت به بوجودي مع داعش. كان يوجد أميركيون وفرنسيون وعرب، لكنهم كانوا يحبون بعضهم، ولم يكن هناك تمييز». أساس هذا الرابط القوي بين أعضاء التنظيم ليس فقط الإيمان الديني. فبالرغم من وجود بعض المقاتلين الشديدي التدين، هناك أشخاصٌ انضمّوا من أجل المال، وحسب أبو إبراهيم: «كانوا سيتحوّلون إلى المسيحية لو كانت تدفع المال الوفير». كثيرٌ من الناس أيضاً، وفقاً لأبي إبراهيم، انضمّوا إلى التنظيم لا لأنهم مؤمنون حقيقيون، بل بدافع اليأس. فهناك سوريون في التنظيم كانوا قد قاتلوا مع مجموعاتٍ مرتبطةٍ بالجيش الحرّ، ليصابوا أخيراً بالخيبة بعد فشل كل تلك الجهود والتضحيات. لم يكن أبو إبراهيم مهتماً للراية التي كان المقاتلون يقاتلون تحتها طالما كانوا يقاتلون النظام – وينتصرون- ولذلك التحق بالتنظيم. لكن قلقاً عميقاً انتابه لما شاهده وهو في صفوفهم. لم يكن مسروراً من الطريقة التي كانوا يعاملون بها المدنيين. تعامل مقاتلو الجماعة مع السكان المحليين وكأنهم أدنى طبقةٍ ممكنة: «كنت أكره ذلك، وأكره أن الناس كرهوني لأني كنت مع داعش». بدأ أبو إبراهيم يدرك أنه، حتى ولو كان النظام عدوّاً مشتركاً له وللتنظيم، إلا أنه لا يتفق مع فلسفتهم الأساسية. وهو يرى أن كثيراً من المقاتلين السوريين مع التنظيم يشاطرونه الرأي، لكنهم لا يستطيعون فعل شيء لإيقاف انتهاكات التنظيم.

فيما بعد، ألقى التنظيم القبض على أعضاء في جبهة النصرة وسجنوهم في الرقة، ثم أعدموهم في ساحة الساعة. كان أولئك أصدقاء لأبي إبراهيم، وكان يعرف بعضهم حتى قبل أن تغيّر الحرب حياتهم. «لم أستطع تحمّل ذلك. في إحدى المرّات شاهدت صديقي من جبهة النصرة ورأسه يُقطع، فعرفت أنه عليّ ترك التنظيم. لكن قرار ترك التنظيم وتركه فعلياً أمران شديدا الاختلاف. فمقاتلو التنظيم الذين يُضبطون وهم يحاولون الهرب يُقتلون فوراً». أدرك أبو إبراهيم أن الانشقاق يتطلب خطّةً مفصّلة. أمّن لنفسه أخيراً هويةً مدنيةً مزوّرة واستطاع القيام بالرحلة الخطرة بنجاح، فعَبَر الحدود إلى تركيا. هو يعيش حالياً في مدينة أورفة التركية، ويفكر في متابعة دراسته. لم يعد على اتصال مع أيّ شخص ينتمي إلى التنظيم، لكنه أيضاً لم يُكوّن صداقاتٍ جديدة. عندما سُئل عن احتمال عودته إلى القتال أجاب: «أنا سَئِمٌ من القتال». إنه يحاول العودة إلى الحياة العادية، لكن الأمر ليس سهلاً. يقول أبو إبراهيم: «مع الدولة الإسلامية، يصبح القتال عقيدتك». الآن عليه أن يجد شيئاً ما آخر يعيش من أجله.

شبهات داعش

ردودٌ بالأدلة الشرعية الإسلامية

محمد عثمان

أصدرت هيئة الشام الإسلامية كتاب «شبهات تنظيم «الدولة الإسلامية» والرد عليها»*. وهو من إعداد د. عماد الدين خيتي، من المكتب العلميّ للهيئة، بعد مراجعة واستشارة مجموعةٍ من علماء العقيدة والفقه.

يتناول الكتاب عشرين شبهةً، موزّعةً على ثلاثة أقسام؛ يعنى الأول منها بالشبهات المتعلقة بمنهج التنظيم، والثاني بالشبهات حول قتاله، فيما يضمّ الثالث الشبهات التي يثيرها التنظيم عن منهج مخالفيه. وبدهيٌّ أن هذه المسائل مترابطة، تنبني وتتكامل لتوضح الموقف الإسلاميّ من التنظيم وفق رؤية هيئة الشام وكثيرٍ من الفقهاء.

ويبدأ **القسم الأول** بنقاش قولهم «لا يفتي قاعدٌ لمجاهد»، وهي العبارة التي يسوقونها لإسقاط آراء وفتاوى كلّ علماء الأمة تقريباً، رغم أنها ليست من القواعد الفقهية. وهاك الأئمة الأربعة وأكثر تلامذتهم أفتوا في أمور الجهاد وسواها ولم يكونوا من أهل الثغور، فالعبرة بصحة الاستدلال لا بحمل السلاح. أما دفاع أبناء التنظيم عن أنفسهم بعدم صحّة إطلاق وصف الخوارج عليهم لأنهم لا يكفّرون مرتكب الكبيرة؛ فيردّ عليه الكتاب بأن هذه المسألة ليست وصفاً جامعاً لكلّ الخوارج، الذين فصّلت السنة النبوية فيهم فأبانت أن أبرز سماتهم التكفير، واستباحة الدماء، والطيش والسَّفه، وحداثة السنّ مع الغرور والتعالي. وهو ما يتضح في أبناء التنظيم. أما استنادهم إلى وجود بعض المجدّين في العبادة بينهم فيفسّره أيضاً الحديث عن الخوارج: «يحقِر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم». وكذلك استدلالهم على صحة منهجهم بوجود «المهاجرين» في صفوفهم، في فهم خاطئ للمدلول الإسلاميّ لهذه الكلمة. فالمهاجر -تعريفاً- هو مَن انتقل من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام فارّاً بدينه وهؤلاء لا ينطبق عليهم هذا الوصف؛ إذ قدم الكثير منهم من بلدانٍ مسلمة، ومن جاء منهم من بلادٍ أخرى لم يخرج منها فراراً بدينه من الاضطهاد، بل كان يعيش فيها آمناً مطمئناً. فضلاً عن أنه لم يرد في أيّ شرع أو مذهب أن مجرّد الهجرة دليلٌ على صحة المنهج! وقل مثل ذلك عن كثرة أعدائهم، التي يوردونها كأحد أدلة صواب ما يسيرون عليه، متجاهلين الأحاديث الكثيرة في تحبيذ ما عليه عموم المسلمين. وعلى كلّ حال لا يقرّ أبناء التنظيم بإسلام مخالفيهم، من مدنيين وعسكريين وسياسيين، بل يتهمونهم بالردّة، ويزيدون على ذلك أن قتال هؤلاء أولى من قتال الكفّار. وهذه أيضاً من السمات الثابتة للخوارج، كما أوضحها أبرز مراجع السلفية الشيخ ابن تيمية نفسه، حين قال: «يستحلّون دماء أهل القبلة لاعتقادهم أنهم مرتدّون أكثر مما يستحلّون من دماء الكفار الذين ليسوا مرتدّين»، مع توسّعهم في التكفير وتجاوزهم لضوابطه بشكلٍ صار فيه خاضعاً للجهل والغلوّ.

أما **القسم الثاني** من الشبهات فيبثه أبناء التنظيم في مخالفيهم لتوهين عزائمهم حين الدعوة إلى قتال هذه الفئة المنحرفة الباغية. ومنه قولهم إن الفصائل سارعت إلى قتال التنظيم قبل محاورته، رغم عددٍ لا يحصى من المناصحات والمحاورات قامت به أطرافٌ كثيرةٌ جداً لتجنب إراقة الدماء، ودوماً كان التنظيم هو المتعنت والمسارع إلى نقض العهود غدراً. إذ يقوم مشروعه أصلاً على اعتبار القوى التي تخالفه قوىً معاديةً لمجرّد عدم اعترافها بما يزعمه من خلافة. أما قولهم إن قتال التنظيم فتنةٌ بين المسلمين فهو تدليسٌ جديدٌ؛ إذ أمر القرآن بقتال الفئة الباغية، كما حضّت الأحاديث على قتال الخوارج. وقتال الفتنة -تعريفاً- هو القتال الذي لا تتبيّن فيه غايةٌ مشروعة، بل يتقاتل فيه الطرفان على ظلم، بخلاف قتال التنظيم إذ هو تنقيةٌ للدين من الغلوّ والابتداع، وهو بذلك مما يأمر به الشرع لما فيه من حمايةٍ للدين مما لبّسوا فيه على الناس، وحمايةٍ لأرواح هؤلاء الناس وممتلكاتهم.

ويعنى **القسم الثالث** من الكتاب بالاتهامات التي يوجّهها أبناء التنظيم للفصائل الأخرى؛ من أنها لا تكفّر «الطواغيت»، وتوالي الكفّار (التدخل الأجنبيّ)، وتميّع الدين استجابةً للدول الغربية... وسوى ذلك من التهم التي تأخذ بالشبهة وتتبنى تصوّراً شديد الانغلاق للإسلام وتدفع الناس إلى اعتناقه تحت طائلة أن يقوم التنظيم بتكفيرهم وإخراجهم من الملّة.. وكثيراً ما يفعل!

* يمكن تحميل الكتاب من الرابط: http://islamicsham.org/versions/2352

صورٌ من أرض الخلافة

لم تصدر بعدُ فتوى أو قرارٌ بخصوص المختلين عقلياً. لكن تركهم هكذا هائمين على وجوههم، يخرقون قوانين «الدولة» جهراً بإشعال السجائر وكشف عوراتهم والتلفظ بكلماتٍ ممنوعةٍ أقلها «داعش» و«دواعش»؛ أمرٌ لا يطيقه أبو داود الأنصاريّ. وخاصّةً مع مريض عقليٍّ معيّنٍ من أقاربه البعيدين، له ذاكرةٌ لا تعترف بما طرأ على حياة أبي داود من تغيّر، فلا تراه سوى «بوّاق العلف» أو «بوّاق المكيّفات من الوحدة الإرشادية». لا تتيح وظيفة آمر حاجز لأبي داود زجّ هذا المريض الذي لا ينسى، وسواه، مدّةً طويلةً في السجن. بل إنه تعرّض مرّةً لتوبيخ شرعيٍّ حين ألقى القبض عليه ضمن من ضبطهم بالجرم المشهود مفطرين في رمضان. لكنه نجح أخيراً في العثور على طريقةٍ آمنةٍ ينفّس من خلالها غضبه المتفاقم على زمرة المستثنين هؤلاء بإيقافهم على الحاجز كلما اقتربوا من هناك، وفتح تحقيقاتٍ يتخللها تعذيبٌ ساخرٌ وتهديداتٌ بالحرق وإطلاق الرصاص على الرأس وتقطيع الأصابع بالخنجر. وحجّة أبي داود في تصرّفه هذا جاهزةٌ، وهي البحث عن الخبثاء ممن يقدّمون لهم السجائر ويلقنونهم آخر الشتائم بحقّ «داعش». في الحقيقة، لا يهتم أبو داود بالكشف عن الخبثاء، بل ما يهمّه فقط هو «تأديب هذا المهبول ابن المهبول الذي يتطاول»، أو كشف حقيقة أن «هذا المهبول مو مهبول» إنما «صاحي وأخبث من الشيطان»، كما يقول لأنصارٍ آخرين يقاسمونه متعة تعذيب المرضى العقليين وإجبارهم على الهتاف «باقية» مع رفع السبابة، ومع محاولات تلقينهم أشطر من أناشيد.

***

يوماً ما سنرفع الرايةَ في مكة، قالت أم العباس المهاجرة لصديقاتها وهي تتابع مقطعاً مصوّراً على جوّالها لطواف حجّاج حول الكعبة. ويوماً ما سنوقف ارتكاب الفواحش في أقدس بقاعِ الأرض. «فواحش!» استغربت مبايعةٌ حديثةٌ ما قالته المهاجرة التي لم تتأخر بالتوضيح أن طواف النساء والرجال واختلاطهم ببعض حول الكعبة فاحشة، وعندما يفتح جنود الخلافة مكّة سيُعزَل الجنسان. لم تقتنع المبايعة حديثاً بالجواب، لكنها هزّت رأسها مبتسمةً وموافقة.

***

أراد أن يكون مميَّز الاسم منذ الأيام الأولى لبيعته، فاختار أن يلقب «القعقاع الشاميّ» دون «أبو»، واحترمت السجلات رغبته. امتاز لأشهرٍ بهذا الاسم المفرد قبل أن يدفع الحسد والتقليد أنصاراً آخرين، ظلّوا قلةً بطبيعة الحال، إلى اختيار أسماء جديدةٍ ومفردةٍ ومسبوقةٍ بأل التعريف التي تجعل من الرجل شيئاً فاعلاً ومعدوداً. لكن القعقاع لم يعدم ابتكاراتٍ جديدةً تجعل منه حديث الأخوة وعوامّ المسلمين، مثل عقد قرانه على فتاتين في يوم واحدٍ، وامتطاء فرسٍ مستعارةٍ للدوام على المقرّ أو التجوّل خلفَ أو أمام سيارة الحسبة، وحمل مسدسين في آنٍ واحد، أحدهما ملكٌ شخصيٌّ له والثاني مستلمٌ من «الدولة». جعلت هذه المزايا من القعقاع الشاميّ شخصاً مشهوراً بالفعل، طارت أخباره في الولاية كلها. لكن جدول تنقلاتٍ مشؤوم حطّم كلّ هذا ونقله إلى خطوط رباطٍ على أطراف البادية، حيث يُطلب منه أن يكون شجاعاً وفارساً بالفعل، وماهراً في إطلاق الرصاص.

مجلّة عين المدينة نصف شهرية سياسيّة متنوعة مُستقلة

3ayn-almadina.com
info@3ayn-almadina.com

@3aynAlmadina
/3aynAlmadina

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

عربين
Erbin City
عامان
على مجزرة
الكيماوي
8-21
2013